فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "يُحِبهم ويُحِبونه"

أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

لفضيلة الشيخ: مسعد أنـور

رابـط الـمـادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-27794.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأتباعه ومَن والاه. أما بعد..

إخوتي في الله.. أخواتي في الله إني أحبكم في الله، والله اسأل أن يجعلنا جميعًا من الذين يحبهم ويحبونه، أحبتي في الله هذا هو لقاؤنا الثالث في هذه السلسلة المباركة وقد جعلته تحت عنوان أذلة على المؤمنين، نتكلم فيها عن أول سبب لمحبة الله عز وجل للعبد يقول الله عز وجل "مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " المائدة:٥٤

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره في مُعرض كلامه عن هذه الآية "هذه صفات المؤمنين الكُمل يكون أحدهم متواضع لأخيه ووليه مُتعزز على خصمه وعدوه".

وقال عَطاء رحمه الله "إن المؤمنين مع بعضهم كالوالد لولده وعلى الكافرين كالسبع على فريسته".

كما قال الله عز وجل في موضعٍ آخر "أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" الفتح:٢٩

أهل التواضع

كلامنا عن التواضع.. الله عز وجل يحب المتواضعين ويبغض المتكبرين المُختالين المُتفشين المنتفخين يبغض أهل الكِبر والفخر بالباطل والخيلاء ويحب أهل التواضع، يحب أهل اللين، يحب أهل الرحمة، إن الكِبر والعُجب داءان مُهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله من الممقوتين المبغوضين.

ورب العالمين أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتواضع فقال له "وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" الشعراء:٢١٥

ومدح الله عز وجل عباده المتواضعين بقوله في القران الكريم "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا" الفرقان:٦٣ الهَون يعني الرفق واللين، يمشون مشية التواضع لا يُصعِّرون خدهم للناس لا يتبخترون في مشيتهم أبدًا بل يمشون مشية التواضع وكأن الكِبر له مشية والتواضع له مشية.

"وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا" الفرقان:٦٣

وفارق بين لفظة الهَون والهُون وكلاهمُا في القُرآن الله وصف حال العربي قبل الإسلام إذا بُشر بالأنثى قال وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ النحل:٥٨،٥٩

الهُون يعني الذُل والخزي، أما الهَوْن يعني الرِّفق واللِّين، فالهَوْن صفة المؤمنين والهُون صفة الكافرين والمنُافقين.

قال رب العالمين في هذا الشأن أيضًا "تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" القصص:٨٣ الجنة للمُتواضعين والنار للمُتكبرين.

قال ابن كثير يخبر الله تعالى أن الدار الآخرة بنعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها الله لعباده المؤمنين المتواضعين، نعم كذا قال ربنا "وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ" الحجر: ٨٨

والسُنة ملآنه بالأحاديث التي تمدح أهل التواضع وتحث على التواضع وتذم المتكبرين، منها ما أخرجه الإمام الترمذي في سننه وحسنه البيهقي وصححه الألباني عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهُما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اللهم أحيني مسكينًا وأمِتْني مسكينًا واحشُرني في زُمرة المساكين" صححه الألباني

هل يتعارض هذا الدعاء مع دعاء النبي "اللهم إني أسألك الهُدى والتُّقى والعفاف والغِنى"؟ صحيح مسلم

قال ابن تيمية "لا، بل المسكنة في هذا الحديث هي التواضع لله عز وجل، هي خشوع القلب لله عز وجل وليس المراد بالمسكنة عدم المال، فقد يكون الرجل فقيرًا وهو جبار"

إذن النبي عندما يدعو ويقول – وأريد كل أحد يسمعني يردِّد هذا الدعاء – "اللهم أحيني مسكينًا" أي متواضعًا خاشع القلب لكَ يا رب "وأمتني مسكينًا واحشرني في زُمرة المساكين" أي مع المتواضعين فأي شرف للمتواضعين.

كذا أخرج مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار رضي الله عنه وعن جميع الصحابة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ولا يبغي أحدٌ على أحد" صحيح مسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلّا رفعه الله" صحيح مسلم

الله اكبر ما هذه المنح؟ ما هذه العطايا؟ ما هذه النياشين والأوسمة؟ المتواضعون يفوزون بمحبة الله، المتواضعون يُحشر بينهم رسول الله، المتواضعون يرفعهم الله عز وجل، يرفع الله المتواضع في الدنيا فيجعل له في قلوب الناس مكان ومكانة، الناس تحب المتواضع وتبغض المتكبر المنتفش المختال المعجب بنفسه.

"مَن تواضع لله رفعه الله" صححه الألباني

رفعه في الدنيا بأن يجعل له مكان ومكانة في قلوب العباد ويرفعه في الآخرة بتواضعه في الدنيا.

كيف يتواضع العبد لله؟

"من تواضع لله رفعه الله" كيف يتواضع العبد لله؟ يتواضع بدين الله بأن ينقاد له إذا سمع قال سمعنا واطعنا ولا تقول لي لست مقتنع تتكبر على الله، على أمر الله أنت عبد ولك سيد آمر إذا أمرك أن تشرق أو تغرب لا تملُك أساسًا إلا أن تقول سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

قال تعالى "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ" لا يصح، لا يجوز "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ" الأحزاب:٣٦

أنت مسلم أي مستسلم لله، مسلم قيادك لله، متواضع لله ،كيف يتواضع العبد لربه؟

بأن ينقاد لدين الله ولا يعارض منقول بمعقول أقول له قال رسول الله يقول لي لست مقتنع! هذه الكلمات لا تتماشي مع عقلي! هذا كِبر، ولا يتعارض ولا يعارض منقول بمعقول ولا يتهم للدين دليلاً ولا يرى إلى الخلاف سبيلاً.

ولله در القائل: "تواضَع تكُن كنجمٍ لاح لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيعُ، ولاتكُ كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع" تواضَع.

كذا روى الطبراني في الكبير والبزار وحسنه الألباني رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من آدمي إلّا في رأسه حَكَمة بيد ملك" الحَكَمة هي الحديد من اللجام يكون على أنف الفَرَس يمنعه من مخالفة الراكب، وهذا مثال ضربه رسول الله "ما من آدمي إلا في رأسه حَكَمة بيد ملَك، فإذا تواضع قيل للملَك ارفع حكمته وإذا تكبَّر قيل للملَك دع حَكمته" حسنه الألباني

وأخرج أبو داود وابن ماجه والبخاري في التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "البَذَاذَة من الإيمان" صححه الألباني أرجوكم اقرؤوها بتشكيل الصحيح.

رجل ذات مرة قرأها قال البذَّاذة من الإيمان لا يا أخي البَذَاذَة من الإيمان ماذا تعني؟ النبي يقول البَذَاذَة من الإيمان ماذا تعني؟ بمعني التواضُع في الثياب والملبس والفراش من الإيمان، التواضع كفى إسراف وخُيلاء في المآكل والمشارب والملابس، البذاذة التواضع في الثياب والمآكل والمشارب والملابس والفراش من الإيمان "البَذَاذَة من الإيمان".

وروى أبو يعلي والطبراني والترمذي وصححه الألباني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال – اسمع هذا حديث رائع – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أُخبركم بمن تَحرُم عليه نار غدًا" اللهم حرّم أجسادنا على النار يا رب، تريدون أن تعرفوا مَن الذي سوف يحرّم الله علي جسده النار؟ "على كل هيِّنٍ ليِّنٍ قريبٍ سهل" اللي فيه الصفات دي مع اجتهاده في الطاعة ومع صدق الإيمان ربنا حرّمه عليه النار "ألا أخبركم بمن تحُرم عليه النار غدًا على كل هيِّن" بمعني متواضع "ليِّن" بمعني رفيق "قريب سهل" ليس حزَن، ليس صعب.

كذا روى النسائي وأحمد والبيهقي في الشعب وصححه الألباني استمعوا لهذا الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انتسب رجلان" بالله حديث يُخيف "انتسب رجلان على عهد موسى، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدّ تسعة، فمَن أنت لا أُمَّ لك؟ قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام، فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين: أمّا أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم في النار"

أَلَسْت تنتفخ على الناس بحسبِّك ونسبك أنت ابن مَن في مصر؟ أنا ابن أُوغلو لازُوغلو، نعم يا سيدي قال له قُل له الذي افتخر انتفخ وانتفش بتسعة من أجداده.. التسعة في جهنم وهو العاشر "وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة" صححه الألباني

وفي الصحيح موقوفًا على عائشة رضي الله عنها قالت: "إنكُم لتَغفُلون أفضل العبادة التواضُع".

الناس تظن أن العبادة صيام وقرآن وصلاة وذِكر وزكاة وحج وفقط! لا، هذا مِن العبادة، الأخلاق من العبادة، الأداب في المعاملات، تنفيذ الشرائع، السيدة عائشة تقول لك: أنت غافل عن عبادة من أفضل العبادات قالوا ما هي قالت التواضع، إذن ما هو التواضع؟

قال الجُنيد هو: "خفض الجَناح ولين الجانب، خفض الجَناح ولين الجانب"

قال الفُضيل ابن عياض "المتواضع هو مَن يخضع للحق وينقاد إليه ويقبله ممَّن قال".

أنا دكتور في العلوم الشرعية معي عشرون دكتوراه من الأزهر وأخطأت في فتوى وطويلب عِلم من تلاميذي ردَّني، إن كنت متواضع سوف أقول له جزكَ الله خيرًا، وعلى الملأ سوف أقول أخطأت وأصاب ولدي فُلان، هذا هو المتواضع كما قال الفُضيل ابن عياض: "هو مَن يخضع للحق وينقاد إليه ويقبله ممن قال".

إنما المُتكبر من صفاته بطَر الحق بمعنى رد الحق وغمْط الناس بمعني احتقار الناس

وقال الحسن رحمه الله كلمة جميلة جدًا جدًا قال: "التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلم إلا رأيت له عليك فضلاً. يا الله على كلام سيدنا الحسن ما هذه الروعة، التواضع يا إمام هو إيه؟ قال لك أنك تخرج من بيتك وأي مسلم تلقاه تظن أنه خيرًا منك وأنه له عليك كثير من الأفضال.

لماذا التكبُّر؟

وكان أحدهم إذا رأى مَن هو أكبر منه قال: هذا أفضل مني عرف الله قبلي، ركع وسجد لله قبلي، وإذا رأى مَن هو أصغر منه قال: هذا أفضل مني لم يقترف من المعاصي والذنوب والأوزار كما اقترفت أنا.

والسؤال لماذا يتكبر الناس ولا يتواضعون؟ لماذا التكبر؟ يتكبَّر بعضهم بالنَسَب، المتكبِّر بالنسب أقول له: إن أباك القريب خرج من مجرى البول مرتين مره من أبيك وهو ماءٌ مَهين ومره من جدتك وهو طفل جنين، وأبوك البعيد آدم خُلق من تراب، خُلق من تراب يا عبد الله فعلى أي شيء تنتفخ؟ تنتفخ على الناس بالقوة والعضلات!

يا أخي أنت تقتُلك شَرقة وتُنتِنك عَرْقة وتُقلِقك بَرْقة وفيك مَواطن ضعفٍ كثيرة ولو كان رب العالمين يُقدِّم الناس ويؤخرهم بالقوى فإن في الدواب مَن هو أقوى منا بكثير.

تنتفخ على الناس بالمال! هارون الرشيد لما قام ليشرب شربة ماء قال له أحدهم: يا أمير المؤمنين لو نَفَذ ماء الدنيا ولم تبقى إلا هذه الشَربة أتدفع فيها نصف ما تملك لتشرب؟ قال نعم حتى لا أموت، قال اشرب هنيئًا مريئًا فلما شرب قال يا أمير لو أصابك حصرٌ بالبول وكدت أن تموت إلا أن تدفع نصف ما تملك لتخرج هذه البَوْلة من بدنك تدفع نصف ما تملك؟ قال نعم حتى لا أموت، قال لا خير في دنيا لا تساوي بَوْلة لا تساوي شربة ماء لا تساوي بَوْلة.

تنتفخ على الناس بالمنصب! يا أخي لو دام لغيرك لمَا وصل إليك، هذه المناصب مسؤولية، وأبو ذر رضي الله عنه عندما قال للنبي يومًا "ألا تستعملني" ضرب النبي على كتفه وقال "إنها يوم القيامة خزي وندامة إلا مَن أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها" صحيح مسلم

إنها أمانة وستكون في الآخرة حسرة وندامة إلا على من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها.

فتواضعوا يا عباد الله ولا يشمخ بعضكم على بعض، ولا يفخر بعضكم على بعض، لا تختالوا في مشيتكم اقبلوا الحق من أي أحد كان، لا تصعروا خدكم للناس، لا تحتقروا الناس، لا تردوا الحق أبدًا، هذه صفات المؤمنين الكُمَّل الذين يحبهم الله.

قال تعالى "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" مَن هم يا رب قال "أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" المائدة: ٥٤

اللهم اجعلنا منهم، اللهم اجعلنا معهم، اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك أحبكم في الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36